تأملات في سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وأشهدُ أن لا إله إلا هو
وحدهُ لا شريك لهُ أراد ما العباد فاعلوه ولو عصمهُم
لما خالفوه ولو شاء أن يُطيعُوهُ جميعاً لأطاعوه
وأشهدُ أن سيدنا ونبينا مُحمداً عبدهُ ورسولهُ صلى
الله عليه وعلى آلهِ وأصحابهِ وعلى سائرِ من اقتفى
أثرهُ واتبع منهجهُ بإحسانٍ إلى يوم الدين*
أما بعد

في هذا اللقاء المُبارك سنشرعُ في تفسير سورة
الزخرف وقبل أن نستفتح تفسيرها نُعرج إجمالاً
على هذه السورة المباركة .
السورةُ مكية داخلةٌ فيما يُسمّى سور آل حم وسُور
آل حم تُسمّى ديباج القرآن وسُميت بديباج القرآن
لأنهُنّ حملن مواعظ ورقائق وأخبار وليس فيهنّ
أحكام وكُلّهُنّ آل حم المبدوءة بغافر والمنتهية
بالأحقاف بدأت بقول الله جل وعلا (حم) ولهذا
تُسمّى آل حـــــــــــم .

وسورة الزخرف هي إحدى هذهِ السور المُباركات
قُلنا أنها سورةٌ مكية ، و الزخرف في اللُغة كمال
الزينة والحُسن كمالُ الزينة والحُسن وهذهِ اللفظة
المُباركة وردت في القرآن في مواضع أُخر :
// وردت في الإسراء ({أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن
زُخْرُفٍ} الإسراء 93).
// ووردت ({زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً } الأنعام 112)
أظنّها في الإنعام .
// ووردت كذلك ({حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا
وَازَّيَّنَتْ} يونس 24) .

فهذا الموضع الرابع لذكرها في القرآن وبها سُميت السورة .

قال الله جل وعلا في فاتحة السورة بسم الله الرحمن (حم)
وبيّنّا أن هذه فواتح القرآن وذكرنا أقوال العُلماء فيها في حلقاتٍ قد مضت .

قال ربُنا (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)
هذا قسم والمُقسم به كلامُ الله جل وعلا و(الْمُبِينِ) الواضح البيّن .
سنقف إلى الآية الخامسة سُنُعرج على جملة من القضايا نبدأ بالأُولى :
قال اللهُ جل وعلا : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ما الذي جعلناهُ قرآناً عربياً ؟ القرآن .
تمسُك المُعتزلة بهذهِ الآية و أضرابها في أن القرآن مخلوق ، وليس التغافُل عن الرد على أهل الشُبهات مما يُردُ به شُبههُم ،، في مجالس العلم يُحرر الخطاب .
هم يقولون إنّ جعل في القرآن جاءت بمعنى خلق قال الله ({جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } الأنعام 1)
بمعنى خلق الظُلمات والنور .
وقال هُنا (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)
فيقولُ رؤساءُ المعتزلةِ وأئمتهم لماذا هذا الكبر هذا نصٌ صريحٌ في أنّ جعل بمعنى خلق ، وقُلنا إنّ الزمخشري لمّا ألّف تفسيرهُ قال في مُقدّمتهِ [الحمدُ للهِ الذي خلق القرآن] فقيل لهُ أن أحداً لن يقرأهُ فقال [الحمدُ للهِ الذي جعل القرآن]
باعتبار أن الخلق بمعنى الجعل عند المُعتزلة.

حتى يستقيم الأمر نُنيخ المطايا بهدوء .نأتي بنظائر ـ
هذا منهجنا في التعليم ـ ثم نُطبق تلك النظائر على
ما نحنُ فيهِ حتى يكون هُناك حياديةٌ في الطرح .
الأفعال أحياناً لا تظهر إلا من سياقها وتحتملُ أكثر
من معنى ـ وأحبُ إلي أن لا تكتُب اليوم نحاول أن
نفهم أنا كفيلٌ أن أمليكُم بعد الدرس المهم أن
تفهم ـ الله جل وعلا قال على لسان أهل النفاق ({
انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} الحديد13) وكُلنا نحنُ
والمعتزلة نفهم أن انظرونا هنا بمعنى تمهّلوا .
والفعلُ نفسهُ قال الله جل وعلا : ({ انظُرُواْ إِلِى
ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} الأنعام 99) تعدى بحرف الجر إلى
فتغير المعنى لا يأتي أحدٌ ويقول إن نظر هنا بمعنى
تمهّل وإنّما المعنى النظر بعين الباصرة.
ويقولُ الرجلُ منّا نظرتُ في الأمر وليس المقصود
أنني أبصرتهُ بعيني فقد يكون الأمر معنوي لكنني
نظرتُ في الأمر معنى تدبّرتهُ وتأملتُهُ ومنهُ قول
الله ({أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ
}الأعراف 185) أي يتدبروا ويتأملُ فاختلف المعنى
مع أنّ الفعل واحد لاختلاف الاستعمال لكن هذا
الاستعمال لابُد لهُ من ضوابط وقرائن تدلُ على كُل
معنى.
فعلمنّا أنّ الفعل نظرَ لمّا كان لازماً أصبح بمعنى
تمهّل ،، ولمّا تعدى بحرف الجر إلى أصبح بمعنى
النظر بعين الباصرة ،، ولمّا تعدى بحرف الجرّ في
أصبح النظر بعين البصيرة وهو التروي والتمهُل أو
التفكُر في الشيء والتدبرُ فيهِ .

قال الله جل وعلا (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا
اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) الزخرف 13} أي ارتفعتُم .

وقال ربُنا (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء) أي انصرف وقصد .
ثم قال ربُنا ({وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} القصص 14) و لم يتعدى والأفعالُ متفقون نحنُ جميعاً على أن الفعل استوى في كُل آيةِ هنا بمعنى مختلفٍ عن الآخر ، والفعلُ جعل يُسمّى من أُمهات الأفعال ــ من أُمهات الأفعال أي التي تُستخدم في مواطن كثيرة مثل عَمِلَ ، فَعَلَ ، طفقَ ، وأخذَ ومنها جعلَ ــ . فنقول إن جَعَلَ في القرآن يأتي على معانٍ بحسب السياق مُستصحبين شيئاً لابُد منه وهو أنّا نفيء بالمُتشابهة إلى المُحكم ولا نفيءُ بالمُحكم إلى المُتشابهة .
فلّما نص الله جل وعلا في مواطن كثيرة على لفظ التنزيل ما كان لنا أن نفرّ عن لفظ التنزيل ونحنُ نجدُ معنىً لجعل في غير الخلق فنقـــــول نعم جاءت جعلَ بمعنى خلق في القرآن قال الله (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} الأعراف189) وقال (وخلق منها زوجها) وهذا من المُترادف لأنُ لا يُمكن التبديل هنا جعل هنا بمعنى خلق.
لكنّك تلاحظ ({وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ} الأنعام 1) ، (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) تعدى الفعل جعل إلى مفعول واحد فإذا تعدى الفعل جعل إلى مفعولٍ واحد فهو بمعنى خلق .

ويأتي جعل بمعنى التسمية قال الله جل وعلا (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً) أي سمّوهُم إناث أين الدليل ؟ الله يقول ({إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى

}النجم27) فقول الله جل وعلا (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً) أي سمّوهم إناثاً .
فإذا تعدى إلى مفعولين أصبح لا يعني معنى الخلق وإنّما يعني معنى التصيير يعني صيرةُ الله جل وعلا يقول عن لسان العرب الفُصحاء في كتابهِ الفصيح قال عنهم (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً) تعدت لمفعولين آلهةً ، إلهً لأن واحداً صفة ({أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }ص5) ومعلومٌ أن القرشيين لم يريدوا أن يقولُوا أبداً أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق ربهُ وخلق الآلهة هذا غير وارد أصلاً في الخطاب لأن الله أصلاً غير مخلوق فهو خالق .
والأمر الثاني : أن قُريش لم تزعُم أن النبي هو خالقُ آلهتُهم ، فليست جعلَ هنا بمعنى خلق واضح ليست جعل هنا بمعنى خلق إنّما بمعنى صيّر فالتصييرُ غيرُ الخلق قد يكون المُصير مخلوق وقد يكون غير مخلوق قد يكون مخلوقاً وقد يكون غير مخلوق (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً }الفرقان 47) أي صيّرناهُ لباسا مع أنهُ في أصلهِ مخلوق لكنّها لوحدها لا تدلُ على أنهُ مخلوق لابُد من دليلٍ آخر واضـــح .
<u>هُنا نقول لهُم ولمن سار على نهجهم لأن المعتزلة تأثرت بها بعض الفرق في هذا المعنى نقول :</u>
إنّ جعلَ هنا ليست بمعنى خلق لأمرين تأباهُ اللُغة تعدت إلى مفعولين ، والسياق القرآني يأباه .
ثم إنّ القرآن في مواطن كثيرة ذكر الله جل وعلا فيها التنزيل والإنزال والنزول بعدة طرائق ({وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ }الإسراء105) ،،، ({تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }فصلت2) إلى غيرها من الآيات ({إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

}الحجر9) وهذهِ المُحكمات لا يُمكن أن نهدمها جميعاً ليس هذهِ القاعدة علمية لفعلٍ يحتمل أن يكون معنى الخلق مع أنّنا بيّنا إذا تعدى إلى مفعولين لا يُمكن أن يكون بمعنى الخلق واضـح ـ هذه مهمة ـ (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

ثم قال الله وأنا قُلت أقف على القضايا (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)
الأصل في كلمة أم تأتي أيُها المُبارك بإزاء الأب بإزاء الأب هذا الأصل إذاً لفظة خرجت عن أصلها وأدت إلى شيءٍ آخر ودلت قرينة على أنّنا لا نُريد الأصل هذا ما يُسمّيه البلاغيُون استعارة هذا ما يُسمّيه البلاغِيُن استعارة.
سأُقرب المعنى حفاظاً على فهم المُشاهدين .
عندما تذهب إلى رجُلٍ لديهِ فرح وتُشاهد هذا الفرح بجوار دارك لا نقولَ في قصر بجوار دارك ثم أعجبك ذالك الفرش الذي أنت جالسٌ عليه فظننت أن هذا الفرش ملكٌ لصاحب الدار ثم لم تلبث أن قلّبت الفراش فوجدت عليه علامةً أو ختماً أو أمارةً مكتوبٌ عليها مفروشات كذا وكــذا أو محلات كذا وكذا لتأجير ماذا تفهم؟ تفهم أن هذا الفرش ماذا ؟ مُستعار ليس لصاحب الدار إنّما استعارة من صاحبة الأصلي ما القرينة ؟ تلك الورقة أو الختم أو الإشارة أو العلامة وضحٌ هذا .
كذلك في اللُغة الكلمة يكون لها أصل فإذا وجدناها استخدمت استخداماً غير الذي هو أصلُها وجدنا من خلال القرينة ما يدلُ على أنها استعارة ثم عاد تأتي استعارة تصريحية ، استعارة تبعية استعارة ، مكنية

هذا بابٌ آخر لكن هذا نبدأ تدريجياً هذا معنى الاستعارة .
فالأصلُ في كلمة (أُمِّ) :هي التي تلد. قال الله: ({فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ} طه40)
هل هناك استعار ة هنا ؟ ليست هناك استعارة, لأن أم موسى هي التي ولدته، هي التي ولدته.
لكن قول الله عز وجل (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ)
المقصود أم الكتاب: أي أصل الكتب, أصل ما خط في اللوح المحفوظ, (أُمِّ الْكِتَابِ) اللوح المحفوظ , فهذا ما يسمى بالاستعارة, يسمى بالاستعارة .
قد تقولُ بمعنى يعني واسع هنا ولا أُريدُ أن أدخُل في حولها إشكال المهم المعنى,وأظنه ابن قُدامه أو ابن قُتيبه ألتبس علي الآن لأنهُ من الحفظ القديم يُعبر تعبيرات, يقول يعني: لا عبرة بالمصطلح الذي يتنازع عليه الناس, هذا كلام جيد، العبرة المعنى.
فكلمة أم في القرآن وردت على عدة معانٍ:

- وردت بمعنى الوالدة,(فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ).
- ووردت بمعنى المرضعة, ({وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ} النساء 23), وتسمى في اللغة المرضعة ظئر, تسمى ظئر . تسمى ماذا ؟ الأم المرضعة تسمى: ظئر. فنعود فنقول: وردت بمعنى: المرضعة.
- ووردت بمعنى: المـــــآل, قال الله جل وعلا: ({فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} القارعة 9), أي مآله أن يهوي في جهنم.

وورد في معان عدة: منها قول الله جل وهلا هنا: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ) وأطلقت على مكة أنها أم القرى.
وفي بمعنى الأصل ومنه قول الله تعالى في آل

عمران: (أُمِّ الْكِتَابِ) أي أصل الكتاب. وغير ذلك مما هو مشهور.

الذي يعنينا أن (أُمِّ) هنا اُستعير لها المعنى. (أُمِّ الْكِتَابِ) هو اللوح المحفوظ ، والفرق بينه وبين غيره من الكتب ما هو ؟
أن ما في أم الكتاب لا يمكن أن يبدل أعيـد:ما في أم الكتاب لا يمكن أن يبدل,
قال الله تعالى في سورة الرعد: ({يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }الرعد39) – جل وعلا) – أُمُّ الْكِتَابِ), فقول الله تبارك وتعالى: ({يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }) ما يمحى و يثبت خارج أم الكتاب إنما يمحى ويثبت ليطابق أم الكتاب. (وَإِنَّهُ) الهاء في (إِنَّهُ) عائدة على من ؟ على القرآن.
(فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)
أي: مذكور بالعلو والحكمة, ورفيع و رفيع المقام ولا شك هذا أصل القرآن
ثم قال الله: (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ)
هذهِ نختم بها. الهمزة للاستفهام

والضرب في اللغة يُطلق على معانٍ:

- يطلق على الصنف من الأشياء, الصنف والنوع من الأشياء.
- ويطلق على الرجل الخفيف اللحم. الرجل الخفيف اللحم, قال طَرَفة:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونني *** خشاش كرأس الحية المتوقد

أنا الرجل الضرب – أي الرجل الخفيف البدن ،، هذا من حيث اللغة.

<u>أما في القرآن فقد ورد الضرب على معانٍ عدة:</u>

- ورد بمعنى السير في الأرض, قال الله جل وعلا: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) أي يسيرون في الأرض (يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ) الزمر 20} .
وقال: ({لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ} البقرة 273) أي لا يستطيعون سيرا في الأرض.
- وجاء الضرب بمعنى الضرب المعروف سواء كان بالسيف كقوله جل وعلا : ({فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ }الأنفال12) ويأتي بمعنى الضرب باليد كقوله جل وعلا: (فاضربوهن) في حق في حق ماذا؟ في حق النساء.

أما قول الله جل وعلا: (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ)
نحرر كلمة صفح : الصفح التغافل عن الشيء. إما كبرا: تقول لويت لفلان صفحة عنقي.،، أو أن يكون تجاهلاً بحيث يمر بك دون أن تدري عنه,.
أما الثاني فمنه قول الشاعر:
تمر الصَّبا صفحاً بساكنة الغضا */* و يصدع قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما */* هوى كل نفس حيث حل حبيبها
ماذا قصد؟ الصبا ريح معروفة, فيقول هذه الصبا تأتي من ديار من أحب, فتمر على بني قومي الذين أعيش معهم صفحا: أي يتغافلون عنها, ليس كبرا, لأنه لا يوجد كبر مع الرياح لكن لأنها لا تعنيهم, أما

أنا – يتكلم عن نفسه - ويصدع قلبي أن يهب هبوبها. فهذا الصفح: هو الإعراض عن الشيء إما كبرا, وإما تغافلا.

(أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ)
اتفقوا على أن المعنى: ليس إعراضكم بسبب مقنع لأن نترك إنذاركم ،، ليس إعراضكم بسبب مقنع أن نترك إنذاركم. لكن اختلفوا في معنى الذكر:
** فذهب ابن عباس في رواية عنه وبعض العلماء إلى أن الذكر هنا المقصود به: ذكرُ العذاب, فيصبح المعنى: أفيعقل أن نترك عذابكم لمجرد أنكم أعرضتم عن ذكر الله!
** وقال آخرون إن الذكر هنا بمعنى الوعظ والإرشاد, وهذا الذي أُرجحه, فيصبح المعنى: أنه كيف يسوّغ لكم أن تطالبون بأن نترك وعظكم وإرشادكم وبيان الحق لكم بسبب أنكم قوم بسبب أنكم قوم معرضون.
وهذه الآية قريبة من قول الرب تبارك وتعالى:
({أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى }القيامة36)
قريبة من قول الله جل وعلا: (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى). هذان المعنيان رجحنا الآخر منهما.
(أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ).
ثم قال الله: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ{6} وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون)
هذه (كَمْ) خبرية. وقد مرت معنا كثيرا. والمراد بها: التكثير(كَمْ) هنا خبرية, وهي مضادة لـ (كَمْ)

الاستفهامية. ،، والفرق الجلي بينهما: أن الثانية تحتاج إلى جواب.
الأولى – أي الاستفهامية – تحتاج إلى جواب, أما (كَمْ) الخبرية لا تحتاج إلى جواب.
قال الفرزدق يهجو جريرا:
كم عمة لك يا جرير وخالة *//* فدعاء قد حلبت عليَّ عشارِ
أراد الكثرة

(وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ)
(مِن) هنا: لبيان الجنس. (فِي الْأَوَّلِينَ) أي في الأمم التي سبقت.
(وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) هذه الآية و أضرابها داخلةٌ في باب التسلية والتعزية لنبينا صلى الله عليه وسلم.
جملة نقـــول:
هذه هي فواتح سورة الزخرف, تحدثت عن صدق القرآن وأنه منزل من عند الله جل وعلا, وقد أجبنا في الحديث, في حديثنا عن مسائل عدة, منها قضية الأساسية العقدية وهي قضية قول من كذب أن القرآن مخلوق.

و المعتزلة- من باب الاستطراد- بعض أهل الفرق أخذوا عنهم شيئا مما تبنوه. والخوارج الأولون أقرب الناس إلى عقائد المعتزلة, فهم متفقون بأكثرهم على القول بخلق, بخلق القرآن, وبعض الخوارج الباقون في زماننا كذلك ما زالوا ينفون قضية أن الله يُرى يوم القيامة ويقولون بخلق القرآن, وأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار.

أمـــا المعتزلة فيقولون أنه في الدنيا بمنزلة بين المنزلتين, وفي هناك كتاب لأحد الخوارج الفرق المعاصرة تبنّى رأي الخوارج للسابقين اسمه:
(الحق الدامغ) هذا الكتاب يقوم على ثلاثة مبادئ:
- إثبات أن القرآن مخلوق.
- وإثبات أن مرتكب الكبيرة كافر.
- وإثبات أن الله لا يُرى يــوم لا يُرى يوم القيامة.

فأما الرد على أن القرآن مخلوق: حررنا كثيرا منه الآن.
وأما الرد على أن مرتكب الكبيرة تحت المشيئة الذي هو قول أهلُ السُنة هذا بيّناه في دروس سلفت, كذلك بيّنا قضية أن الله تبارك وتعالى يُرى يوم القيامة, ورددنا على ما يسمى بـ " لن الزمخشرية".
هذه بعض ما يسر الله إعداده, وأعان الله على قوله حول فواتح سورة الزخرف.
نفعنا الله وإياكم بما نقول, وجعلنا الله وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه..
هذا ما تيسر إيراده وتهيأ إعداده, وأعان الله على قوله..
وصلى الله على محمد وعلى آله..
والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...
تفريغ سورة الزخرف 2من الآية (6) إلى (18)
بسم الله الرحمن الرحيم
أن الحمد لله نحمدهُ و نستعينه ونستغفرُه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدي

الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهٍ لا شريك له اعترافا بفضله وإذعاناً لأمرهِ
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد :
نتفيأ في هذا اللقاء المبارك دوحة سورة الزخرف , وكنا قد انتهينا في اللقاء الماضي إلى الآية الخامسة منها إلى قوله ((أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ)) اليوم بإذن الله تعالى نبدأ ونشرع مع قول ربنا جل وعلا ((وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ{6} وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون{7} فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ))
هذه الآيات تلونها الثلاثة مع بعضها البعض لارتباطها مع بعضها البعض .
النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعا من الرسل كانت رُسُل قبله كما قال الله ({قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ }الأحقاف9) وسنن الله جلا وعلا مع رسله التي آتها أقوامهم واحدة فأراد الله جلا وعلا في هذا المقطع من هذه السورة المباركة تسلية وتعزية نبيه فقال مخاطب إياه (وكم) وهي هنا خبرية ليست استفهامية المقصود بها الكثرة , وقد مر معنا أن كم تأتي خبرية وتأتي استفهامية وهي هنا خبرية لا تحتاج إلى جواب ، والفيصل في الفرق بينهما أن الخبرية لا تحتاج إلى جواب .

((وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ))في الأمم التي غبرت والقرون التي سلفت ((وَمَا يَأْتِيهِم)) وما هنا نافيه قطعا ((مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ))
أي تلك الأمم ((يَسْتَهْزِئُون)) أي يصدون دعوته ويردون رسالته ولا يؤمنون به .
وهذه الآيات ولله الحمد ظاهرة المعنى مندرجة تحت قول ابن عباس رضي الله عنهما (إن من القرآن ما يفهمه كل أحد) .

فقال الله ((فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ))
فما قريش إذا ما قرنت بالأمم التي سلفت , والقرون التي غبرت وكلهم عند الله واحدة . لكن من باب إظهار ضعف القرشين , وأن الله جل وعلا جعل من قبلهم عبرة وعظة وأخبار وأحاديث وأقاصيص يتحدث بها الناس في مجالسهم بعد أن أهلكهم الله جلا وعلا .
قال ربنا ((وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون{7} فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ))

ثم قال الله جلا وعلا وهذا التفاتٌ في الكلام ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم)) أي يا نبينا واللام هنـــا ممهدة للقسم.
) وَلَئِن سَأَلْتَهُم) هؤلاء الذين يجادلونك (مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)
ظاهر الأمــر والعلم عند الله أنهم سيقولون: خلقهن الله, لكن الله جل وعلا ذكر جوابهم بالمعنى لا باللفظ , ذكر جوابهم بالمعنى لا باللفظ,

يبعد أن يقول القرشيون: (خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ), لكنهم معترفون بأن الله جل وعلا الخالق الرازق. وقد مر معـــنا أن القرآن يقوم على إثبات أن الله جل وعلا وحده هو هــو الخالق, وبمقتضى هذا الإثبات يجب ألا تُصرف العبادة لغيره تبارك وتعالى. (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)

ثم قال ربنا: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً)
وهذا القول: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً) صلة الاسم الموصول (الَّذِي), هـــذا من كلام الله, ليس من جواب ليس من جواب القرشيين, ليس من جواب القرشيين, وإنمـــا حكا الله الجواب بالمعنى دون اللفظ في قوله سبحانه: (لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) تمهــيدا لما سيأتــي بعدها, تمهيدا لما سيأتــي بعدها, وهذا الصنف من الآيات من أعظم ما في القرآن, وقد مر معنا أن القرآن كله عظيم, لكن أعظم ما في القرآن حديث الله عن ذاته العلية. فهذا مندرج في حديث الله عن ذاته العلية.

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً)
المهد في الأصل: مـــا يوضع فيه الصبي, فجعل الله الأرض بالنسبة للناس كالمهد بالنسبة للصبي, وهذا – يا بني – من حيث الصناعة البلاغية يسميه البلاغيون: تشبيه بليغ. تشبيهٌ بليغ.
ومعلومٌ أنه لا بد من مشبه, ومشبه به ، وأداة تشبيه, ووجه شبه. ووجه شبه.
ذكــر الله هنا المشبه والمشبه به. المشبه والمشبه

به.

(الْأَرْضَ) بالمهـــد ،، شبه الأرض بالمهد... لم يذكر الله الأداة. ؟

لم يقل الذي جعل لكم الأرض كالمهد, حذف الكاف, وحذف وجــه الشبه وهــي إيواؤها للناس كما أن المهد يأوي الرضيع ويحويه, فلما حذف ربنا في كلامه أداة التشبيه, ووجه الشبه؛ وفق منطق البلاغيين هــذا يسمى تشبيها بليغا، يسمى تشبيها بليغا.

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً)

أي: طرائق,

(لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أي: من خلال هذه الطرائق لعلكم تهتدون بالمقدورات على القادر.

بالمقدورات المسخرة , المخلوقات المدبرة لكم تهتدون بها للدلالة على ماذا؟ على القادر.

وقد عرفوا ربهم لكنهم ما صرفوا العبادة له, فأتــوا بتوحيد الربوبية وتوقفوا عنده فلم ينفعهم شيء بل ازدادت الحجة عليهم.

ثم مضت الآيات وهذا النوع يسمى إطناب, وقد مر معنا تقسيم الكلام إلى: - إيجاز – ومساواة ـ وإطناب, في حديث الله عن الله.

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) الماء الذي جعله الله في الأرض على ضربين:

مـــاء عذب فــرات. ومـــاء ملح أجاج.

فجعل الله الماء المستقر: مالح . لمــاذا؟ حتى لا ينتن.

لو أن ماء البحار ليس مالحا لأنتن وظهرت ريحته.

وجعل الله الماء المتحرك الذي ينزل من السماء عذبا.
قال تعالى: ({هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} الفرقان 53), فجعل المياه الراكدة الثابتة على الدوام التي لا يحتاجها الناس شربـــا جعلها مالحة حتى لا تنتن.
وجعل الماء المتحرك الذي يحتاجه الناس سواء متحركا في أصله بنزوله من السماء أو في العيون والآبــــار جعله عذبا فراتا تبارك وتعالى بنعمته ورحمته بعباده.

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً)
هذا وفق الصناعة البلاغية يسمى استعارة تبعية ، استعارة تبعية.
استعارة : لأن لفظ { نشر} إنما يقال في الميت إذا أحيي ، في الميت إذا أحيي. فجعل الله جل وعلا الأرض التي لا نبت فيها كالجســـد الذي هــو ميت لا روح فيه، كالجسد الذي لا روح فيه.
(فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ):
الذي استعصـــى على القرشيين فهمه؛ أن الله يحـــيي الموتى.أعيـد؛ الذي استعصى على القرشيين فهمه وإدراكه أن الله يحيي يحـــيي الموتى.
انظـــــر! كيف عالج القرآن هذه القضية.
قال ربنــا: (فَأَنشَرْنَا): والنون هنا؛ الـ { نــا } { نــا } الدالة على الفاعلين, جيء بها للعظمة, في الحديث عن الشيء الذي يرونه بأعينهم,

أمــا الشيء الخفي الذي هم مطالبون بالإيمان به لم يقرنه الله بـ { نــا } الدالة على الفاعلين ليبين لهم أنه أمــر هين عليه, لم يعظمه الله, لم يعظمه الله, عظم الله جل وعلا المقيس ولم يعظم المقيس عليه.

عظم الله جل وعلا ما يرونه (فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً), فلما ألقموا في أفواههم حـجـرا وسقط ما في أيديهم قال لهم ربهم: (كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ), (كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ), ولم يقل كذلك أخرجنا, كذلك نخرجكم, قال: (كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) لبيان أن هذا من حيث مفهوم خطابكم أهون وإلا عند الله الأمــر سواء.

(فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ{11} وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ)

الأزواج: مفردها زوج, وهي في التعبير اللغوي: كــل ما صار به الواحــد ثانيا. الزوج: هــو كل ما صار به الواحــد ثانيا.

وبعض العلماء يجعلها في المعنويات،، .وبعضهم يجعل الأزواج في المحسوسات.

والصواب جعلها هنا في المحسوسات والمعنويات.

في المحسوسات والمعنويات, مثــلا: جعلها الله جل وعلا في:

الفـقـر والغنـى ،،،. والـجسد والـروح. ،،، والذكر والأنثى. ،،، والصحة والمرض ،،،. واللـيل والنـهار. ،،، والفـرح والحـزن.

وكلاهما بعضهن معنويات وبعضهن محسوسات, وخالقهن جميعا واحــد: هو الله تبارك وتعالى.

(وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ)
الفلك تركب كلهــا, أمــا الأنعام محدد ما يركب منها.الفلك تركب كلهــا, و الأنعام محدد ما يركب منها, مقيد .
ولهذا جــاء في الحديث: أن الرجل الذي ركب البقر اعترضت عليه,
قالت له: ما خُلقنا لهذا, مع أن البقر من بهيمة الأنعام,
لكن الله قال – والقرآن ضمائم إذا ضممت بعضه إلى بعض تبين لك –
قال ربنا: ({وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا }النحل8) ولم يذكر الله بعض الدواب الأخرى.
نعود هنا فنقول: لماذا قدم الله الفلك على الأنــعام؟ قدم الله الفلك على الأنعام: لأن إظهار القدرة يتضح هنــا أكثر.
فالفلك على ماذا تجري؟ على المــاء. والجريان على المــاء أعظم إظهارا لقدرة الله من مشي الأنعام على أرض مستقرة.
فإن الأنعام تمشي على أرض مستقرة وإن ظهرت فيها القدرات, لكن ظهورها في الفلك أقوى من ظهورها على من مشي الأنعام على الأرض المستقرة, ولهذا قدم الله الفلك.

ثم قال ربنا – والقرآن يزاوج ما سلبه من لفظة يعطيها بدلا منها – قال الله تبارك وتعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ{12} لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ)

جاءت المزاوجة هنا الظهور من علائق الأنعام أكثر منها أن تكون من علائق الفلك. أعيد. الظهور من علائق الأنعام أكثر منها من علائق الفلك, لأن الفلك في الغالب يسمى بطن, لا يسمى لا يسمى ظهر, وإن ظهر في الصناعات الحديثة فلكاً لها ظهر, لكن ذكرها الله من باب التغليب, ذكر الله الظهور هنا من باب التغليب.

قال ربنا: (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ) وقد مر معنا أن الفعل استوى إما أن يتعدى بحرف الجر على, أو بحرف الجر إلى, أو لا يتعدى بحرف جر.

فإن تعدى بحرف الجر على معناه العلو والارتفاع ومنه هذه الآية(ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) أي إذا ارتفعتم.

وإذا تعدى بحرف الجر إلى يصبح المعنى: القصد, (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء) أي قصدها.

وإذا لم يتعد بحرف جر لا على ولا إلى واكتفى بعدم التعدية وأصبح لازما دل على الكمال والتمام والنضج, قال ربنا عن كليمه وصفيه موسى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} القصص14) أي كمل ونضج وتم أمره.

(لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ)

بلسانكم أو بجارحتكم؟ بلسانكم وبقلوبكم؟

بقلوبكم. فيقع في قلبك أولا تعظيم هذا الرب الجليل الذي سخر لك هذا.

والتسخير في اللغة: التذليل والتطويع. فإذا وقع في القلب الاعتراف بفضل الله, وأن القوة الجسدية التي نملكها ليست هي التي سخرت لنا الفلك وليست هي التي سخرت لنا الأنعام واستقر هذا في القلب, جاء الأمــر الإلهي بأن يُترجم ما وقع في

القلب من يقين إلى أن يكون نطقا باللسان منصوصا عليه قال ربنا: (وَتَقُولُوا) – أي بألسنتكم – (سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) أي مطيِّعين. (مُقْرِنِينَ) أي مطيِّعين,مقرنين أي مطيّعين ليست مطِيْعِيــن, مُطَيِّعـيـن. طوَّع الأمر بمعنى ذلـله.

فنعود فنقول: قال الله: (سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) وقد كان هذا يقال على ظهور الدواب, واليوم يقال على مقاعد السيارات والطائرات.

أما استخدامه أو قوله عند المصاعد فليس له دليل, لأن المصاعد حلت بديلا عن السلالم, ولم تحل بديلا عن الدواب, وأما السيارات والطائرات حلت بديلا عن عـن الدواب, والتقيد بالنصوص أمر محمود وإن كان كل هذا سخر الله جل وعلا لنا.

(لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ{13} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ)
الانقلاب في اللغة: عودة الإنسان إلى المكان الذي فارقه.

الانقلاب في اللغة: عودة الإنسان إلى المكان الذي فارقه.

وأين كان بدء خلق أبينا آدم؟ في السماء. , عند ربه فلا بد من العودة إلى الله. فيستقيم هنا المعنى الشرعي مع المعنى مع المعنى اللغوي.

الانقلاب عودة الإنسان إلى المكان الذي فارقه والأمر نسبي انقلبت إلى داري انقلب إلى بيته, أي عاد إلى بيته لأنه لتوه فارقه.

أمــا الانقلاب العام هو الأوبة والرجوع إلى الله, قال ربنا: ({إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى }العلق8) (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى), (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ)
وتذكر الإنسان للآخرة منهج قرآني, منهج قرآني عظيم, يجعله الله جل وعلا مطردا في كل أمر, أن يتذكر الإنسان اليوم الآخــر.
حتى لما ذكر الله الطلاق, وذكر الرضاع وذكر غيرها كانت الآيات تأتي مقيدة ({ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} البقرة 232)

من أعـظـم البواعث على العمل الصالح تذكر الآخــرة, قال الله جل وعلا في حق بعض من اصطفاهم من رسله: (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ) جاءت منونة حتى تشرئب الأعناق إلى معرفتها وأتت منقطعة عن الإضافة
({إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ }ص46)
والتقدير: هي ذكرى الدار. والتقدير: هي ذكرى الدار.

قال ربنا: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ)
مازال الخطاب متوجها لكفار قريش.
(جُزْءاً) هنا الصواب أنها بمعنى حظا ونصيبا. حظا ونصيبا وقسما. حظا, ونصيبا, وقسْمــا.
إلا أنه ورد عن إمامين من أئمة اللغة, هما المبرد والزجاج, المبرد والزجاج, لماذا قدمنا المبرد؟ لأنه أقدم ظهوراً يعني حياة المبرد كانت قبل حياة الزجاج, وله كتاب مشهور اسمه الكامل في الأدب, واسمه محمد بن يزيد, وكان له حُساد, وقد قيل فيه

أبيات يراد بها منقصته أيًّا كان هذان العلمان من علماء اللغة قالوا: إن (جـزءا) في اللغة: بمعنى بنت, وأتوا بشاهد شعري.
ومن رد عليهم لم يطعن في إمامتهم في اللغة, لأن إمامتهم لا تقبل القدح, فهم متفق على إمامتهم في اللغة, فيكون الطعن ليس في ذاتهم لكن فيما قالوه, أو فيما نقلوه. كيف يكون الطعن في مثل هذا؟
يقال: إن البيت مصنوع وليس قديما. إن البيت الذي استشهدوا به مصنوع, متقوّل, وليس قديما.
فإذا كان مصنوعا وليس قديما ما صح الاحتجاجُ ما صح الاحتجاج به.
وممن حمل راية إبطال ما زعماه الزمخشري في كشافه, أبطل ما زعموه أن (جُزْءاً) بمعنى بنات.
والحق – بحسب دراية الإنسان البسيطة في علم اللغة – بعيد جدا أن يكون جزءا بمعنى بـمعنى بنات, بعيد جدا أن يكون جزءا بمعنى بنات.
أمــا المعنى فصحيح – سيأتي – لكن اللفظ (جُزْءاً) بمعنى بنات غير وارد.
ورد في القرآن (جُزْءاً) و (بعض)
الجزء: شيء يمكن تحديده, يمكن إخراجه, يمكن انفكاكه.
أما البعض: لا يمكن تحديده لا يمكن تحديده.
فمثلا القرشيون زعموا أن الملائكة بنات الله, فسهلٌ جدا أن نميز الملائكة عن الإنس والجن لكن كلمة بعض تأتي في الأشياء الممزوجة, التي يصعب تحديد الفوارق بينها.
قال الله: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً) - أنا أتوقف

هنا في قضية الملائكة بنات الله لأن سيأتي
التفصيل فيها –
(إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ)
قال بعض أهل التفسير: إن الإنسان هنا عام أريد به
الخاص, وهم كفار قريش, لكن الصواب إبقاؤه على
ما هو عليه فنقول إن الإنسان في أصله كفور مبين,
لأن الله جل وعلا ذكر هذا في أكثر من موضع وأكثر
من آية .
لكن نُبقي على أن أول المخاطبين به, وأول ما
ينصرف به هذا الوصف على كفار إلى كفار قريش,
أول ما ينصرف هذا الأمر إلى كفار قريش.

(إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ{15} أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ
بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ)
هناك مصطلحات أحيان يستخدمها أهل التفسير,
مصطلحات يستخدمها أهل النحو.
أهــل التفسير يتأدبون أكثر لأنهم يتعاملون مع
ألفاظ قرآنية.
أمــا النحاة فلا يتوخون الأدب لأنهم يتعاملون مع
أقرانهم مع أئمة في اللغة, أو مع شعراء, أو مع
خطباء, فلا يكونوا مطالبين بالتأدب كما يطالب به
أئمة التفسير.
(أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ)
أهل التفسير يقولون إن الميم هنا صلة, يقولون
ماذا؟ صلة.
(أَمِ اتَّخَذَ) تأدبا مع الله, لأن النحويين يقولون إن
الميم هنا زائدة, يقولون زائدة.
إن أسميناها زائدة كما قال النحويون أو أسميناها
صلة كما قال المفسرون فالمعنى واحد في

مقصودهم يراد بها التوكيد. يراد بها التوكيد.
والاستفهام للاستنكار.

(أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ) نكر البنات وعرف البنين ليطابق حال البنين والبنات عند العرب.
(أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ) وأنا هنا أؤكد على اللغويات أما المعاني سيأتي لها في قول الله تعالى (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً) في نفس السورة حتى لا يتكرر الأمر.
(أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ)

ثم قال الله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ{17} أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)

هنا الله جل وعلا لما نقم عليهم أنهم جعلوا الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ذكر شيئا لا يرتضوه لأنفسهم ومع ذلك نسبوه إلى إلـى ربهم لا يرتضوه لأنفسهم ونسبوه إلى ربهم فحكا عن بعض طوائف من العرب, (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً) هنا ذكرها بالكناية, أو بغير التصريح, وصرح بها في النحل) {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }النحل58)
الكظيم: هو من يكظم كربه وحزنه.
(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً) { ظَلَّ } هنا بمعنى صار, (وَهُوَ كَظِيمٌ)

قال الله: (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)
هنا نسيح لغويا, نسيح يعني من السياحة, لغويا معرفيا في هذه الآية التي نختم بها حلقة الليلة.
(أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)
يستفاد من هذه الآية أن الأصل في النساء أنهن يتجملن, والأصل في الرجل ألا ألا يتجملون.
فالزينة أليق بربات الحجال وأبعد عن الرجال وأبعد عن الرجال. هذه واحدة .
قول الله جل وعلا: (أَوَمَن يُنَشَّأُ) يعني يربى (فِي الْحِلْيَةِ)
أي في الزينة) وَهُوَ فِي الْخِصَامِ) هذا قيد في ظني لا بد منه (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)
متى يكون غير مبين؟ في الخصام ليس على إطلاقه، ليس على إطلاقه.
لا يقدح في المرأة على إطلاقه لكن المقصود من الآية أنكم نسبتم إلى الله من لو خاصم بقوله لما غلب, فكيف يغلب في الحروب.
فإذا كان لا ينفع لا في حرب ولا في خصام قولي كيف تكون هناك منفعة من اتخاذه ولد؟!
ونحن نعلم أن الله غني عن هذا كله لكن نتكلم من باب الفرض الجدلي, فإن الله يخاطبهم على فرضهم الجدلي, فإذا كانت الفتاة أو البنت جنسا نوعا لا تقوى على أن تظهر خصومتها القولية, فهي من باب أولى أن تضعف في المخاصمة الحربية العسكرية في ميادين القتال, فإذا كانت لا تُجدي نفعا في دفع ضر أو أذى عمن تتولاه, لا بلسانها ولا بسنانها, فلا منفعة إذا من اتخاذها ولدا, فإذا كانت ليس هناك منفعة أبدا في اتخاذها ولدا فكيف

تنسبونها إلى ربنا جل جلاله! فالله منزه عن هذا كله.
نعود فنقول: إنه (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) وهو في الخصام قلنا قيد لابد منه. لماذا قلنا قيد لا بد منه؟
لأننا نعلم ضرورة أن في النساء فصيحات بليغات شاعرات, والقرآن لا يمكن أن يخالف الواقع فالواقع أعظم الشهود وقد قال معاوية رضي الله تعالى عنه وأرضاه في حق أم المؤمنين عائشة أنها كانت فصيحة أنها كانت فصيحة بليغة, وأنها ما فتحت بابا وشاءت أن تغلقه خطابا إلا فعلت, ولا أغلقت بابا وشاءت أن تفتحه خطابا إلا فعلت.
ولئن قلنا إن المرأة لا تبين ولا تفصح ولا تُفهم , فكيف نقول في كثير من الأحاديث التي روتها صحابيات عن رسول الله هذا ينجم عن هذا القول وحمل هذا الراية رد كثير من السنة . لكن نقول أن التعبير القرآني جاء مقيدا.
قال الله جلا وعلا ((أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ))
أما في غير الخصام قد يكون مبين .

مثلا :أحيانا قد يكون الحديث – إن كان هذا في الأفراد - الإمام مسلم رحمة الله عليه روى في الصحيح أن النبي قال:
" لا إله إلا الله ويل لعرب من شر قد اقترب فتح اليوم ..." إلى آخر الحديث المراد به يأجوج ومأجوج هذا الحديث من الذي سمعه من رسول الله ؟ زينب بنت جحش . من زينب بنت جحش ؟ زوجة النبي التي طلقها من ...؟ من زيد

زينب أخبرت بهذا الحديث الذي أخذته من فيّ
رسول الله ﷺ من ؟
أخبرت به أم حبيبة من أم حبيبة ؟ زوجة النبي ﷺ
بنت من ؟ بنت أبي سفيان
أم حبيبة أخذته عن زينب,
وزينب أخذته عن من ؟ عن رسول الله ﷺ
من أخبرت به أم حبيبة ؟ أخبرت به ابنتها حبيبة .
من حبيبة ؟ربيبة النبي ﷺ .. لأن النبي ﷺتزوج أمها فأصبحت من ربائبه
من أخبرت به حبيبة ؟ أخبرت به زينب بنت سلمة
منزينب بنت سلمه ؟بنت أم سلمة التي هي زوجة النبي ﷺ. إذن حتى زينب (ماذا) ربيبة .
هذا حديث اجتمع في سنده أربع صحابيات ، حديث اجتمع في سنده أربع صحابيات اثنتان زوجتان للنبي ﷺ من هما ؟ أم حبيبة و زينب بنت جحش ،،، واثنتان من ربائب ﷺ من هما؟
حبيبة وزينب بنت سلمة .. حتى الأسماء تدور في فلك زينب وحبيبة
زينب بنت جحش , أم حبيبة ,حبيبة,وزينب بنت أبي سلمة
وهذا حديث مثلا في سنده أربع صحابيات .

لو قلنا أن الآية على إطلاقها لوقفنا ضعفاء في قبول هذا الحديث
لكن نقول أن الله قيد ويجب اعتبار قيد القرآن قال الله جلا وعلا ((أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ))
ينجم من هذا الأمر فقهيا أن الأصل في زينة النساء الإباحة . ينجم من هذه الآية فقهيا أن الأصل في

زينة النساء الإباحة إلا ما استثناه الشرع نصا ، إلا ما استثناه الشرع نصا..
ما استثناه الشرع نصا في زينة النساء يُترك ويجتنب للنهي الشرعي
وما لم يأتي نص شرعي فيه يبقى على أصله ويأخذ بعموم هذه الآية
وهي قول الله جلا وعلا ((أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ))
جعلني الله وإيّاكم من إذا خاصم أبان ولا يفجر فيدافع عن حقه ولا يقع فيما وقع فيه أهل النفاق .
هذا ما تيسر إيراده وتهيأ إعداده وما أعان الله على قوله وفي اللقاء المقبل نبدأ - بإذن الله تعالى – نبدأ بقول الله :
((وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ))
وصلى الله على محمد وعلى آله ،،، والحمد لله ربع العالمين ....

تفريغ سورة الزخرف3 (من الآية 19 _29)
بسم الله الرحمن الرحيم
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من أقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين .. أمــا بــعــد *
فنستأنف في هذا اللقاء المبارك دوحة سورة

الزخرف وكنا قد انتهينا إلى قول الله جل وعلا "
أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين "
والآية التي بعدها شديدة الارتباط بها قال الله "
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا
خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ "
كل من نازع الله مغلوب .. والله يظهر ضعف عدوه
وتناقضه قولاً أو عملاً
ما الذي صنعهُ القرشيون ؟ زعموا أمرين : الأمر
الأول : زعموا أن الملائكة بنات لله .
والأمر الثاني : بهذا الزعم ينجمُ عنهُ أنهم جعلوا
الملائكة شركاء لله لماذا ؟ لأن الابن جزءٌ من والدة
قال صلى الله عليه وسلم " إنّما فاطمةٌ بضعةٌ مني
يُريبُني ما رابها " على هذا جمع هؤلاء القرشيون
النقيضين أين النقيضان في قولهم : أنهم رفعوا أولاً
الملائكة من مقام العبودية ولهذا قال الله (الَّذِينَ
هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ) إلى مقام أنهم جعلوهم بوصفهم
بنات لله جعلوهم شُركاء مع الله وهذا ارتفاع
وارتقاء بمقام الملائكة وفي نفس الوقت جعلوُهم
بنات والذكرُ أفضلُ من الأنثى فرفعُوهم من وجه
ووضعوهم من وجه آخر وهذا قمة التناقض .

قال الله جل وعلا (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ
الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) الشهادة هنا بمعنى
الحضور(سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)
وهذا فيه تخويف لناس لأن الله علم من غير تدوين
شهادتهم أن مآلهم إلى النار ومع ذالك حاكمهم الله
على هذا الأمر فالكُفار جُرماً حتى لو لم يقولُوا هذا
الأمر هم من أهل النار ومع ذالك قال الله (سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)

(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذالك من علمٍ إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتاب من قبله فهم بهِ مستمسكون)
احتج القرشيون بالقدر ومن احتج بالقدر يبطُل احتجاجهُ عقلاً ونقلاً كيف يبطلُ احتجاجهُ عقلاً ؟
كلُ من احتج بدليلٍ عقلي تُلزمهُ بالبقاء عليه في كل أحوالهِ وقد تبين عقلاً أن أي أحد لا يستطيعُ أن يحتج بالقدر في كل أحوالهِ وهم يقولون لو كان هذا الدين حقاً لما شاء الله أن نعبُد غيره قال الله جل وعلا عنهم (قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم)
احتجوا بالقدر ، فنقول لهم من الناحية العقلية الآن : لو سلّمنا لكم بصحة هذا الاحتجاج هل تقبلون بهِ في كل أحوالكم ؟ لا يقبلون ، فلا يُمكن أن تأتي أعراضهم فتنتهكها أو أموالهم فتسرقها ويقبلون احتجاجك بأنك انتهكت أعراضهم وسرقت أموالهم بقدر الله ـ واضح ـ سيُعاقبُك ويثأرون لأنفُسهم فهذا يبطلُ بهِ الاحتجاجُ بالقدر ماذا ؟ عقلاً يبطلُ بهِ الاحتجاجُ بالقدر عقلاً .
أمّا إبطاله نقلاً فهو في الآية التي بعدها قال الله جل وعلا (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ)...
وقطعاً ليس لهم كتاب من قبلهِ قال الله جل وعلا ({وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ }سبأ44)
على أن هذهِ الآية عُض عليها النواجذ وأعقد عليها خُنصرك سيأتي الحاجة لها ملّحة فيما بعد ستأتي الحاجة إليها فيما بعد لكنّ الله ساقها لبيان رد دليلهم نقلياً فهم لا يملكون دليلاً نقلياً ولا دليلاً

عقلياً لكن لديهم شُبهة والقرآن إذا حاكم يُحاكم بالتفصيل.
أين الشُبهة ؟ هي قولُ اللهُ جل وعلا كما حكا الله عنهم : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) فشُبهتهم التي تمسكوا بها بعد أن أبطل الله احتجاجهم بالقدر ذكر الشُبهة التي تمسكوا بها وهي أنهم وجدوا آبائهم على أمة وقالوا كما قال الله (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) قبل أن أعود ونخوض فيها معرفياً نُكمل مُرادفها أو ما جاء في سياقها ثم نعودُ إليها .
قال الله (} وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ) إذاً الاحتجاج بالقدر فيما يبدوا خصيصة قُرشية ، أمّا الاحتجاج بأنهم وجدوا آبائهم على أمةٍ ليست خصيصة قُرشية وإنما مضت في مللٍ وأممٍ وأقوامٍ قبلهم وهذا ؟ ماذا ؟ أين الدليلُ عليهِ ؟ الدليلُ أن الله لمّا حكا احتجاجهم بالقدر لم يقُل سُبحانهُ أنهُ كان موجوداً في الأُمم التي سلفت ولّما ذكر احتجاجهم في أنهم وجدوا آبائهم على أمة قال سُبحانهُ وهو أصدقُ القائلين(} وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ {23} قَالَ) من الذي قال ؟ قال كُل رسولٍ لأُمتهِ ، ماذا قال ؟ (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا) أي كُل أُمةٍ لرسولها (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) قال الله (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)...
الآن نعود للآية الماضية ونُنيخ المطايا فيما يحملُ عنها من فوائد :

أعظم الفوائدُ الدالة عليها : أن الله نهى عن التبعية بغير علم لأن الله قال (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ) على هذا فبابُ الاجتهادُ في الشرعِ مفتوح ولا يلزمُوا والناسُ عندما فتحوا لأنفُسهم بابُ الاجتهاد ظنّوا أن الطريقة المُثلى إليهِ حفظُ المتون وهذا خطأً منهجيً عظيم فإن الحفظ وإن كان حسناً إلا أن الذي ينبغي في المجتهد أن يعرف مواضع الأحكام ويفهمها أمّا حفظها فليس لهُ علاقة بالاجتهاد أعيـد..

الذي ينبغي على المجتهد أن يعرف مواطن الأحكام فيفهما أما حفظها فليس لهُ علاقة بالاجتهاد فإذا كان يسهلُ عليه أن يعرف موطن الحُكم ويفقهُ ويفهمهُ ويُنزّلهُ التنزيل الصحيح فهذا مُجتهد ، أما الحفظُ فلا علاقة لهُ لماذا ؟ لأننا لو قُلنا أن الحفظ رُكنٌ من أركان الاجتهاد لوصل إلى تلك المنزلة أو إلى نصفها أو قارب منها مئاتُ الحُفّاظ وأنت كما ترى كثيرٌ منهُم لا يملكُ الآلة العلمية وحسبُك مثلاً على ابنك في المرحلة الدراسية قد يكونُ في الثانية عشرة من عُمرة وحفظ القرآن أو حفظ الصحيين ولا يُمكنُ أن يكون قد خطى خطوةً واحدة في طريق الاجتهاد ـ واضح ـ ولا يكون قد خطى خطوةً واحدة في طريق الاجتهاد قال الناظم:

وموضعِ الأحكام دون شرطِ */* حفظ المتون عند أهل الضبطِ

أعيد وموضعِ ـ هاذي معطوف على منصوب ـ والمعنى أن يعرف المجتهد موضع الأحكام دون أن يشترط حفظ المتون عند ماذا ؟ عند أهل الإتقان والصنعة .

وموضعِ الأحكام دون شرطِ */* حفظ المتون عند أهل الضبطِ

واضح فنجم عن هذا كُلهِ أن التقليد والإتباع من غير دليل أمرٌ مندوبٌ شرعاً دلّ قولُ الله جل وعلا إذا ضُمّ إلى غيرها (وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ)
ما معنى أمة هنا ؟ طريقة ومسلك يسيرون عليهِ وهديً كان عليهِ آبائهم مع أن كلمة أُمة جاءت في القرآن على معانٍ عدة لكن كيف عرفنها ؟ ممّا يُسمّى السياق .

قال الله جل وعلا ({وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ} هود8) أي إلى أجل إلى زمن ، وقال الله جل وعلا ({وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ} القصص 23) أي جماعة قال بعضهُم دون الرجال .
({وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ }فاطر24) جماعة يدخُل فيها الرجال والنساء .
({إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} النحل 120) أي رجُلاً جامعاً لصفاتِ الخير .

إذاً يا من تُفسّر القرآن ثمّة ألفاظ تتفقُ في أحرُفها وتختلفُ في معناها وإن كان الجرم الأول لمعناها واحد لكن تأتي لها دلالات مثلاً قال الله جل وعلا ({فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ }المائدة30) من أخوة ؟ أخوه لأبيهِ وأُمهِ لأن الحديث عن قابيل وهابيل .
وقال الله في هود (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً) وهو ليس أخوهم لأمهم وأبيهم لكن أخوهم في القبيلة.

وقال الله تبارك وتعالى ({كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا} الأعراف 38) ما معنى أُختها هُنا ؟ أي شبيهتها مثيلتها في الجُرم .
وقال الله جل وعلا ({إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} الحجرات 10) أخوة الدين .
وقال الله تبارك وتعالى ({إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً} ص 23) أي شريكي وصاحبي .
وقال الله جل وعلا ({وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ }الأعراف202) أي أوليائهم .

فاللفظُ واحد والمعاني مختلفة ونظائر أُخر كلمة آية
قال الله جل وعلا ({إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ} هود 103) ما معنى آية هنا ؟ عبرة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ) ما معناها ؟عظةٌ وعبرة .
وقال الله جل وعلا ({وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ }الروم20) هنا آية بمعنى برهان ودليل .
وقال الله تعالى يُنبأ عن آية بأنها معنى البناء الرفيع ({أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ }الشعراء128) .
وتأتي آية بمعناها في المصحف قال الله ({وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ }النحل101) فندخُل هنا نُعرّج في علم التفسير على معنى آية في القرآن على معنى آية في الاصطلاح الشرعي إحنا أخذنا نماذج على معنى آية في الاصطلاح اللُغوي وقُلنا تأتي بمعنى عظة تأتي بمعنى برهان تأتي بمعنى بناء رفيع وتأتي في المصطلح الشرعي وأنت تُفسر القرآن الآية ـ أكتُب
ـ جملةٌ من الكلام ذاتُ مبدأٍ ولها مطلعٌ ومقطع
جملةٌ من الكلام ذاتُ مبدأٍ ــ أي بداية يعني ـ ولها

مطلعٌ ومقطع مختومةٌ بفاصلة موجودةٌ في سورة .
هذهِ الآية .
قُلنا في ضمن كلامنا كلمة مختومةٌ بماذا ؟ بفاصلة
ما الفاصلة ؟
ـ نكتُب ـ ***الفاصلة*** جملةٌ من الكلام تختمُ بهِ الآية
وهي قرينة القافية في الشعر واللازمة في السجع
إلا أنا الفارق الأعظم أن الفاصلة في القرآن يُؤتى
بها لمعنىً وقد قال أهلُ الصناعة ـ أي صناعة
التفسير الذين لديهم حظٌ في اللُغة ـ: إنّ الفاصلة
سرُ من أسرار القرآن ، و يُمكنُ تقسيمُ الفاصلة
إلى أربعة أقسام :
الأول : التمكين . ويُقصد بها تلك الفاصلة التي
يكونُ ما قبلها ممُهداً لها مثل قولهِ تعالى (وَرَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً) طبعاً أنت
أُكتب صدر الآية والفاصلة ({وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً }الأحزاب25) أين الفاصلة ؟
ـ أجيبوا ؟
جملة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً) هي الفاصلة ، ما
قبلها كان مُمهداً لها فحتى لا يُفهم أن ردّ الذين
كفروا كان قدراً واتفاقاً جاءت الفاصلة لتُبين
التمكين فظهر من لفظها قُدرةُ الله جل وعلا
ليطمئن المؤمن ويُغاظ الكافر هذا أولُ أقسام
مدلولات الفاصلة وهو التمكين .

الثاني : التصديق.. وهو أن يكون صدرُ الآية دالاً
على أخرها فتُصبحُ أيها الأخُ المُبارك هذهِ الفاصلة
مأخوذةٌ لفظاً من أين ؟ من صدر الآية أُعيـد فتكون
هذهِ الفاصلة الجُملة التي خُتمت بها الآية مأخوذة

لفظاً من صدر الآية (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ)
هذهِ الآية ، أين فاصلتُها ؟ (إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً) مأخوذٌ
لفظاً من صدر الآية ، أن تكون الفاصلة مأخوذةٌ
لفظاً من صدر الآية مثل قول اللهِ تعالى ({فَقُلْتُ
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً }نوح10) .

الثالث : أيُها المبارك التوشيح ما التوشيح نظير
التصديق لكنّ التصديق مأخوذٌ لفظا أما التوشيح
مأخوذٌ معنى مأخوذٌ ماذا معنى لكنّ التوشيح مأخوذٌ
معنىً قال الله تعالى ({وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ
}الملك13) ـ ماذا قُلتُ لك ـ (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ) فالمعنى غيرُ اللفظ المعنى هنا
مُستسقى من أول الآية مُستسقى من صدر الآية .
الرابعة : الإيغال .... طيب أنت الآن تسمع هذا
المُصطلح أوغل فلانٌ في الأمر ما معنى أوغل ؟
دخل أو زاد تعمّق كُلها تدور في فلك الزيادة إذاً
الإيغال في الفاصلة أن تتضمن الفاصلةُ معنىً زائداً
على صدر الآية قال ربُنا مثلاً وهو أصدق القائلين
(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ
هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) الآن انتهت الآية من
حيث المعنى تمّ معنى الآية ({قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ
الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ
يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }الإسراء
88) انتهى المعنى ثم قال اللهُ بعدها في فاصلةً
خُتمت بها هذهِ الآية (وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً
) هذهِ الفاصلة زادت معنى هو أنهم ولا يأتون بمثلهِ
مُجتمعين أي حتى لو اجتمعوا لا يُمكن أن يأتوا بمثل
هذا القرآن فهذهِ الفاصلة زادت معنىً عن صدر
الآية يُسمّى إيغال يُسمّى ماذا ؟ إيغال ـ طيب هذا

اليوم الدرس قد يكون في فنون التفسير ، هذا الإيغال جاء جزءٌ من أربعة وهو التوشيح والتصديق والتمكين فهنا لهُ علاقة ـ أنا أتكلم عن ماذا عن الفاصلة واضح ـ فهو نوعٌ من أنواع تقسيم الفاصلة لكن يأتي الإيغال أيُها المُبارك لهُ جُرم آخر وموضع آخر عند البيانيين وأهل البديع ضمن الإيجاز والإيغال أُمور أُخر غير علاقتهِ بماذا ؟ غير علاقتهِ بالفاصلة يأتي في الآية ؟ إذاً الإيغال وأنت تُفسر يأتي على كم ضرب ؟ على ضربين :

يأتي جُزءً من أقسام الفواصل ، ويأتي مُحسناً بديعياً في الآية نفسها .

كيف يأتي مُحسناً بديعياً في الآية نفسها ؟

إنّ الآية تقطعُ على من يسمعها الزيادة فبعضُ الشُعراء وهذا ظهر عند ابنُ المعتز كثيراً يأتي بأبياتٍ تتضمنُ معانٍ تُلجمُك ألا تسأل ، كُل ما خطر ببالك سؤال ألجمكَ الكلام الذي تسمع ـ نأتي بمثال ـ يقول الله جل وعلا ({أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} البقرة 266) معلوم أن الجنة لا بُد أن يكون فيها نخيل وأعناب فهذهِ (مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) زيادة على أنها جنة قال الله تعالى (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) تجري من تحتها الأنهار أصلاً من لوازم كلمة جنة لكنّ هذا إيغال زاد إيغالاً آخر قال (ولَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) هذا إيغال آخر تكفي عنهُ كلمة جنّة لكنّ المقصود والمقصود غير الوصف يعني وصف هذا الأسلوب يُسمّى إيغال أمّا المقصودُ منه هنا إظهار شدة التأسُف والتحسُر على جنّة بهذا الوصف قال الله (لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) لمّا قال وأصابهُ الكبر يأتي السؤال أهم شي

ترك ذُرية وإلا ما ترك ذرية قال الله (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ) يأتي السؤال ضُعفاء وإلا أقوياء يأتي الإيغال (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء) قال الله (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ) ولم يكتفي (أَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ) وكلمة فيهِ نار من لوازمها الاحتراق لكن قد يقول قائل ربُما لا تحترق يأتي السؤال هل احترقت قال (فَاحْتَرَقَتْ) هذا الإطناب الذي يُجيب عن كُل سؤال ربُما يخطرُ في على بال في الصانعة الشعرية يُسمّى إيغال والقرآن قُرآنٌ عربي فما يُقال من أساليب العرب في كلامها في الشعر يُنزّل على أساليب ماذا ؟ القرآن لكن لا يُقال في القرآن شعراً .

وقد قُلتُ مراراً أن طه حُسين الأديب المعروف على ما فيهِ وليس هذا مقام القضاء بين عباد الله المقام استفادة من الكلام المقام استشهاد طه حُسين يقول عرّف الشعر والنثر قيل لهُ والقرآن شعر أو نثر ؟ أجاب بكلمة بريئة قال القرآن قرآن ليس لهُ اسم إلا قرآن القرآن ماذا ؟ قرآن لا يُسمّى شعراً ولا يُسمّى نثراً لكنك إذا كُنت قوياً في معرفة أساليب العرب في كلامها تُعطيك مفتاح من مفاتيح عدة لتدبُر كلام الله جل وعلا وأن تكون فارساً مُقدماً فيهِ واضح . نعود لما بدأناها ...

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ{22} وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ{23} قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ{24} فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ{25} وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ{26} إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ

سَيَهْدِينِ{27} وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ{28} بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ)
إبراهيم خليلُ الله المعروف والمعنى واذكُر إذ قال إبراهيم لأبيهِ قيل اسمهُ تارخ أو تارح بالحاء وهذا قولُ أهلِ التاريخ ، وقال الله في القرآن أنهُ آزر واضبطُ الأقوال عندي أن يُقال أن اسمهُ تارخ ويُعرف بأزر خروجاً من الإشكال لأنّ جمهرة المؤرخين اتفقوا على أنهُ تارخ وهو قولُ ابنُ عباس والقرآن يقول (وإذ قال إبراهيم لأبيهِ آزر) ويُمكنُ الجمعُ بأنّ اسمهُ تارخ ويُعرف بأزر (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ{26} إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن الذي فطرني أتولاه كما أتبرأ ممّا تعبدون أتولى من فطرني (الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ{27} وَجَعَلَهَا) الفاعلُ من ؟
جمهورُ أهل العلم على أنهُ إبراهيم ، وبعضُ العلماء على أنهُ عائدٌ على لفظ الجلالة .
ومن قال أنهُ يعودُ على لفظ الجلالة يُغلب بأنها جاء في آخر الآية (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ) وكلمة لعلّ هنا لا تُناسب أن تُسند إلى رب العزة فنُرجّح أنّ (جَعَلَهَا) فاعلُها عائدٌ على إبراهيم ولها مفعولان الهاء في جعل وكلمةً مفعول ثاني أما باقيةً فهي حال أو فهي صفة أنا أسف فهي ماذا ؟ صفة .
(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) العقب في الُلغة مُؤخّر الرجل ، وفي الاصطلاح كُلُ قوم ليس بينهم وبين أبيهم أنثى الرجُل إذا اتصل بأجدادهِ من غير أنثى يُسمّى عقب .

(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)
الكلمة هي كلمة التوحيد والبراءة مما يُعبد من دون الله ـ أنا الآن أفسّر حرفياً سأجمع شتات هذا كلهُ لأن هذهِ الآية تهُمّنا جداً في فهمها ـ
(بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ)
سنقول ما قال المُفسرون ثم نقولُ رأينا :
أهل التفسير يقولن أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام تبرأ من أهل الأوثان وهذا حق وتولى ربهُ وهذا حقٌ وظاهر وجعل هذهِ الكلمة في عقبهِ باقية يرجعون إليها إذا حادوا علامة إشعارٍ لهم (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) وقالوا من الدلائل أن الله قال ({وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ} 132) معنى الكلام عندهم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أي أن على هذا قالوا أن هذا الأمر الذي رجاهُ إبراهيم لم يتحقق كلهُ فأمن بعضُ ذُريتهِ ولم يُؤمن بعضهم قال الله جل وعلا (لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }البقرة124) في خطابهِ لمن ؟ لإبراهيم .
ثم قال الله : (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ)
أي أنّ هؤلاء الآباء الذين هم أبناء آباء قريش لم ينتفعوا بكلمة من ؟ بكلمة إبراهيم باعتبار أن إبراهيم أبوً لمن ؟ لإسماعيل وإسماعيل أبوً لعدنان وهؤلاءِ عربٌ عدنانيون لأن نسب النبي مثلاً ينتهي إلى معد ابن عدنان اتفاقً على وجودهِ ، على هذا ينجم أنهُم فهموا أن ثمّة شيء من الدين كانت قريشٌ مُطالبةً بهِ حتى توسّعوا فقال الطاهر بن عاشور غفر الله له ورحمه [ومّما يُستروح من الآيات من قول الله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ

إلى قولهِ (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ) أنهُ لم يكن هناك في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنّ أجدادهُ كان يُضمرون الإيمان ويُخفونهُ ولم يُصرحوا بهِ مخافة الفتنة من قومهم]
وهذا أمرٌ عندي في غاية الغرابة والبُعد وقد قلتُ في درسٍ خلا لا أدري إن كان هذا أو غيرهُ تنبّه لقول اللَّه ({أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ }الزخرف21) وقُلنا أنّ هذا استفهام استنكاري أنه لم يأتيهم كتاب ولأن كان الأمر ينطبقُ عليهم كما قال الطاهر بن عاشور أو غيرهُ فهذا يكونون مُطالبين بالصُحف التي أُنزلت على إبراهيم واللهُ قد نفاها عنهم وبيّن أنهم لا يملكون دليلاً نقلياً ، والعلماء يربطون ما بين قول الله جل وعلا (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) وبين قولهِ (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ).
والذي أراه والعلم عند الله أن قول الله جل وعلا (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) لا علاقة لها بقول الله (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ) في انفكاك تام .
والمعنى أن إبراهيم جعل هذهِ الكلمة في ذُريتهِ التي كانت على مقربة ممّن كفر به لعلّها إذا شاعت في ذُريتهِ يرجع من لم يُؤمن به يرجع عن الكفر من لم يُؤمن به ، ومن أعظم القرائن على ذالك أن قوم إبراهيم لم ماذا ؟ لم يُهلكوا . وبقي الأمور مُعلقة في أذهانكم لكن الوقت انتهى وسأُبينها تفصيلاً في أول اللقاء القادم .
هذا ما تيسر إيرادُه وتهيأ إعدادهُ وأعان الله على قولهِ وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ والحمدُ للهِ رب العالمين ..

تفريغ سورة الزخرف من الآية (26) إلى (39)

بسمِ الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحبُ ربُنا ويرضى وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له شعُارُ ودثِارُ ولواءُ أهل التقوى وأشهدُ أن سيدنا ونبينا محمداً عبدهُ ورسولهُ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثرهُ واتبع منهجه بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد.......

كنّا قد انتهينا في اللقاء الماضي إلى قول الله جل وعلا (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ) ووافقت أن كان ذلك في آخر الحلقة مما أنهُ نجم عنهُ أن المعنى لم يتحرر تحرُراً كاملاً فكان لزاماً أن نستفتح به لقاءنا هذا .

فنقول أولاً: مسلك لغوي فإذا انتهينا من المسلك اللُغوي نُعيد إجمال معنى الآية ونُحرّر ما قاله المُفسّرون ثم نذكرُ رأينا إن كان لنا رأيٌ غيرُ ما قالُوا .

الله يقول (وَإِذْ قَالَ)

أي أذكُر ما قالوا لأن إذ هنا ظرفية تحتوي الحدث ، إبراهيم أبو الأنبياء وأفضلُ خلق الله بعد نبينا صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام " فأقومُ مقاماً يرغبُ إلي فيهِ الخلقُ كُلهُم حتى إبراهيم "

فقولهُ عليه الصلاة والسلام حتى إبراهيم قرينة ظاهرة على أن إبراهيم أفضلُ الخلق بعد نبينا صلى الله عليه وسلم .

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ)

قدّم ذكر الأب ليُبين عظيم تبُرُأ إبراهيم من الأصنام والخطابُ لمن ؟ لقومٍ يعبدون الأصنام فنسبهم الله

جل وعلا أو أخبرهم عن خليل الله إبراهيم ، أمّا القول بأن إبراهيم أبوٌ لهم فيحتاج إلى إعادة نظر أما من حيث أصلهِ فنعم لكن ليس صحيحاً تاريخياً أن ننسب الناس لكُل أبٍ لهم بمعنى لابُد من شخصيةٍ ما فاصلة تكون فاصلة ما بين ما بعد وما قبل أو وما أعلى ما دون ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " أرموا بني إسماعيل " ولم يقُل أرموا بني إبراهيم لأنهُ لو قُلنا أرموا بني إبراهيم لدخل بنو إسرائيل معنا وصرنا وإياهم لسنا أبناء عمومة لكن قال صلى الله عليه وسلم " أرموا بني إسماعيل " حتى يخرُج بنو إسحاق لأنّ بني إسحاق منهم يعقوب ويعقوب منهُ بني إسرائيل ومن إسحاق كان العيص ومن العيص كان الروم فلو نسبنا الناس إلى إبراهيم كما جرى عليه بعضُ المُفسرين دون أن يلحظ هذا في معنى الآية يقع الخطأ والخلط في فهم الآية وهذا لا يتضحُ لك الآن إلا إذا أكملنا تحرير المعنى وأنا قُلت سأبدأ بداية تروي في قضية اللُغة .

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء)
براءٌ لُغةٌ في بريء كانُ أهلُ عاريةٍ في نجد آنذاك يستخدمون هذا كما يقولون طويلٌ وطِوال يقولون بريءُ وبراء .
(إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ) مّما هذهِ مكونة من (من وما) أُدغمت في بعضهما البعض فأمّا من فحرفُ جر لكن ما تحتملُ هاهنا إمّا أن تكون مصدرة وإمّا أن تكون موصولةً كيف يُحرّر المعنى ؟
إذا قُلنا إنها مصدرية فيُصبح المعنى أنني براءُ من عبادتكُم لغير الله لأن عبادة مصدرٌ من الفعل عبد وهنا ما تصبح مصدرية ، وإن قُلنا إنها موصولة يُصبح

المعنى إنني براءٌ من معبوداتكم موصولة أي من
الذي تعبدونه ولا يتحررُ من هذا كبيرُ اختلاف
فإبراهيم بريءٌ منهم بسبب عبادتهم لغير الله .
(إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ{26} إِلَّا الَّذِي)
هذا استثناءٌ منقطع في قول الجمهور وهو الحق
بمعنى لكن لـكن الذي فطرني ـ أي خلقني ـ فإنهُ
سيهدين يبقى إشكال هنا أن السين جاءت هنا ولم
تأتي في آية الشُعراء ({الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ
}الشعراء78) قال الشيخُ الهرري أمتع اللهُ بهِ حي
ما زال موجود في مكة قال بعد عنايةٍ ودراسةٍ فيها
الذي يظهر أن هنا جيء بالسين لا لتسويف لكن
لتأكيد لأنهُ هناك في آية الشُعراء ذُكر أن الأصنام
عدوةٌ لهُ قال (أفرئيتُم ما كُنتم تعبدون أنتُم وآباءكم
الأقدمون فإنهم عدوٌ لي) أمّا هنا فأراد إبراهيم أن
يُخبر بالبراءة من قومه ومن آلهتهم فجيء بالسين
لماذا ؟ لتأكيد لا لتسويف ثم قال كلمةً نُرددها الآن
والله أعلم بأسرار كتابه .
نقول (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)
إلى الآن لا يوجد خلاف بين العُلماء في المعنى لأنهُ
ظاهر .
(وَجَعَلَهَا) الجاعلُ إبراهيم على الصحيح وقد ذكرنا
في اللقاء الماضي أن الخلاف قائم في الفاعل
جعل هل هو عائدٌ على لفظ الجلالة أو عائدٌ على
إبراهيم .
(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)
هنا يأتي الخلاف الاختلاف في المعنى : المفسرون
من حيث الجملة يقولون إنّ هذه الكلمة العظيمة
وهي البراءةُ من الشرك وأهلهِ وتولي مولاة الله
رب العالمين جلّ جلالهُ التي هي كلمةُ التوحيد التي

دل علّيها وقيلت بمعنى *لا إله إلا الله* هذهِ الكلمة جعلها إبراهيم علامةً وشعاراً لدينه وجعلها باقية في عقبه رجاءً أن قومه إذا حادوا عن الطريق رجعوا إلى تلك الكلمة رجاء أنهم إذا حادوا عن الطريق رجعوا إلى تلك الكلمة .

(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ{28} بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ)

(هؤلاء) أي المعاصرون لنبي صلى الله عليه وسلم (وَآبَاءهُمْ) أي الذين لم يشهدوا نبُوتهُ من أباء من كان حياً زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

(بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ) أي بالنعم والعطاء ومن كثرُت عليه النعم وطول الأمد يقسو قلبهُ فحادوا عن الكلمة التي جعلها إبراهيم باقيةً في العقب .

(حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ) أي القرآن (وَرَسُولٌ مُّبِينٌ) أي مُحمدٌ صلى الله عليه وسلم .

(وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) هذهِ ستأتي.

نعود إلى قول الله جل وعلا: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

هذا الذي عليه أهل التفسير ، ونقول : إن المعنى هنا غير واضح لأننا نؤصل بأن هناك انفكاك وانقطاع تام بنص القرآن مابين نبوة إبراهيم ورسالته وما بين كفار مكة ، ولا يمكن أن يؤخذ بالقول هذا وجعل الأمر كالطريق الواحد ـ محال ـ لأن الله جل وعلا قال في آيات محكمة : {وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ }سبأ44)

ومر معنا في اللقاء الذي قبله أن الله تبارك وتعالى قال ({أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ

مُسْتَمْسِكُونَ } (وقلنا أن هذا دليلا نقلياً على أنه ليس لديهم كتاب يخبرهم عن شيء فنفى الله عنهم النذارة ونفى الله عنهم الكتب انقطع اتصالهم الديني بإبراهيم ، فيكون قول الله جل وعلا فيما يبدو لي :
(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) أي في خواص عقبه في أقرب أهله إليهِ في إسماعيل وإسحاق ومن كان آنذاك معاصراً له في العراق وبلاد الشام ، حتى يكون سببا في نشوء هذه البيئة الصالحة في تكون سبباً ومؤثرة في من جاورهم ، وقلت في اللقاء الماضي أن من القرائن على صحة هذا الرأي أن الله لم يذكر أنه استأصل من كفر بإبراهيم بالكلية ، لم يرد في القرآن فيما نعلم ولا في السنة فيما نحفظ أنه جاء ذكر أن الله استأصل خصوم آل إبراهيم بالكلية ، فالله ذكر أنهم لما حاولوا حرقه ذكر أنه سبحانه نجاه ولم يذكر هلاكهم ، ولما ذكر النمرود ـ والنمرود فرد ـ وإبراهيم أصلا مر على العراق مر على الشام ، ومر على مكة وعلى مصر كل هذه الديار طافها فلم يكن له بيضة معينة ـ بيضة بمعنى حوزة بمعنى مكان مستقر واحد ـ يستأصل أهله بينما كان طوافاً ولذلك تبنته الأمم كلها.
فنقول على هذا إن قول ربنا : (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء) أن (بل) هنا ـ نعم للإضراب الانتقالي متفقون ـ لكنها ليست للإبطال ، لأننا إذا قلنا أنها لإبطال أصبح هناك اتصال فهو يبطل المعنى ، لكن (بل) هنا للانتقال بمعنى يصبح الكلام بعد أن ذكر الله خبر إبراهيم يقول لنبيه أما هؤلاء وآباؤهم فقد متعتهم ما شئتُ أن أمتعهم دون نبي أو رسول ولا علاقة لهم

بإبراهيم .
(حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ) أي القرآن .
(وَرَسُولٌ مُّبِينٌ) أي أنت يا محمد .ثم قال الله ـ تعالى ـ) وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ (الكلام الآن عن كفار قريش ، ولا علاقة لإبراهيم بالمســألة .
(وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)
وهذا مر معنا بأنهم وصفوا القرآن بأنه سحر بما ينجم عنه ـ بزعمهم ـ من التفريق بين الرجل وزوجته ، والوالد وولده ...
ثم قال الله عنهم) وَقَالُوا (أي القرشيون .
) لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (
الجار والمجرور ـ نحويا ـ تملك قوة في ضعفها ، الآن المرأة أين قوتها ؟ في ضعفها ، بعض الضعفاء قوتهم في ضعفهم كما يأتيك مكان لا يوجد فيه مقعد وتأتي معك بصبي صغير أين قوة الصبي الصغير ؟ في ضعفه ، لأنه من السهل أن تجد له مكانا .
مثلها الجار والمجرور ، فهم قالوا :) لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (فلو سألت : ما إعراب كلمة عظيم ؟؟ تقول : صفة لكلمة رجل ، . والمعنى) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (ومعلوم قطعا وجوب الاتصال ما بين الصفة والموصوف.
ما الذي فصل بينهما ؟ الجار والمجرور (مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ) فالضعف لأنه شبه جملة أقحمها هنا ويعطي من الصياغة اللفظية والسبك لما لا مزيد عليه ...

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم من القريتين)

القريتان المقصودتان هنا مكة والطائف بالاتفاق . وكل لفظ قرية أيها المبارك في القرآن يعني مدينة ، وقول الجغرافيين ليس له علاقة برب العالمين ، قول الجغرافيين القرية كذا وكذا تقل عن المدينة في وصف معدود هذا اصطلاح لا مشاحة فيه ، لكن القرية في اللفظ القرآني المدينة قال الله تعالى : (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) كانوا يزعمون ـ في قول جمهور أهل العلم ـ أن القرشيين كانوا يزعمون أن القرآن هذا أحق به رجلان

الأول : عروة بن مسعود من أهل الطائف.

والثاني : والوليد بن المغيرة من أهل مكة.

وأيا كان من قصدوا هم ـ حتى بهذه الطريقة التي قالوها وهي باطلة في أصلها ـ أخطئوا في أنهم لم يعرفوا كيف أو ما هو المعيار في قدر الرجال ، وألا النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالمقاييس غير الشرعية غير مقياسهم هو كان أفضلهم صلوات الله وسلامه عليه .

نعود فنقول : إنهم قالوا (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) مر معنا أن الجواب الإلهي يتحرى ويتوخى إقحام الخصم ، وبينا في قضية (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ) أنهم جمعوا بين نقيضين أنهم ارتقوا بالملائكة وفي نفس الوقت وصفوهم بأنهم إناث .

هنا يقول الله لهم (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) معنى الآية ـ مباشرة ـ : أن الله يقول لهم : أنتم تعترفون

الأرزاق إنما يقسمها الله وهذا لا خلاف فيه عندهم ، ومعلوم أن عطاء النبوة أعظم من عطاء الأرزاق ، فإذا كنا لم نسند إلى أحد من الخلق تقسيم الأرزاق فكيف نسند إليه تقسيم النبوة ؟! واضح فهذا هو المعنى المقصود من الآية .

فإذا كُنّا لم نُسند إلى أحدٍ من الخلق تقسيم الأرزاق وهي دون النبوة فكيف تزعمون أنّنا أسندنا إليكم تقسيم النبوة .

إذا كلمة (رحمة) في الأول بمعنى النبوة) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) هنا المقصود بها النبوة (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ) اللام للتعليل ، ولهذا نصب الفعل ..

(لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً)

أي أن الله جل وعلا لم يجعل الناس على منزلة واحدة ، خادم ومخدوم أمير ومأمور ملك ومملوك عبد وحـُر ، حتى تستقيم الحياة ، وعلى هذا طـُبعت الدنيا وجـُـبل الكون حتى يستقيم الأمر وينتفع الناس جميعا ..

(لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)

أما الرحمة هنا فالصواب ـ عندنا ـ أنها بمعنى الجنة . الرحمة الأولى بمعنى النبوة ورحمة الثانية بمعنى الجنّة قال الله تعالى (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)

ثم هذه الآية ممهدة للآيات لمقاطع التي بعدها وهي قضية إظهار حقارة الدنيا.

فلما أراد الله أن يظهر حقارة الدنيا قال مخاطبا عباده:

(وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ{33} وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ{34} وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)

لابد من تقدير شيء ما في المسألة و التقدير(َلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) التقدير لولا كراهة أن يأتي الناس الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن .

المعنى : الله جل وعلا يبين أن الدنيا إعطاؤها للكافر يدل على حقارتها عنده مجرد أن الله جل وعلا أذن للكافر أن ينعم في الدنيا هذا دلالة على أنها حقيرة عند الله لأن الكفار ليس أولياء لله فتنعمهم في الدنيا يدل على أن الدنيا ليست بشيء.

فالله جلا وعلا يقول مخافة أن الناس يظنوا أن الكفر هو سبب في النعيم لو كان هذا الأمر صنعته لظن الناس أنه السبب بأنهم كفار فأصبح الناس لذلك كلهم كفار رجاء أن ينعم لهم .

لكن كراهة أن يظن الناس ذلك منعنا جريان الأمر على إطلاقه بدون تقيد .

(وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ)

(وَمَعَارِجَ) بيّنا جمع معراج بمعنى السلالم مرت معنى قبل في آيات سابقة

(عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يصعدون .

(وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَزُخْرُفاً

(هذا كله المقصود منه إظهار المتاع الذي يعيشه الناس في حياتهم .
) وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (ثم بين الله جل وعلا أن الحقيقة التي لامناص منها أن المتاع الباقي هو متاع الآخرة
فقال ربنا) وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ (وليس هذا محل خلاف لكن يأتي محل تساؤل لمن ؟فجاء الجواب القرآني) وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (

ثم قال الله (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)
(يَعْشُ) هنا جملة شرطية بمعنى يعرض ويصد .
جواب الشرط (نُقَيِّضْ) أي نهيأ (نقيض) بمعنى نهيأ وهو فعل مستقى من اسم جامع ... وأصل التقدير ذلك الذي يحيط بغشاء مخ البيضة
) وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ{36} وَإِنَّهُمْ)
أي الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) عن الهدى (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) وهذا قمة البلاغة ،، فإن قال قائل ألا يكون هذا عذرا لهم أنه يتأول على جهل
يقال في الجواب على هذا لا يعد هذا عذرا لأن جهلهم هنا بسبب إعراضهم عن ذكر الله لأن سبب جهلهم إعراضهم عن ذكر الله
(حَتَّى إِذَا جَاءنَا) وفي قراءة ابن نافع (حتى إذا جاءانا)
(قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ)
لماذا قال بيني وبينك ؟ولماذا قال بعد المشرقين ؟
أما (بيني وبينك(كان يغني عنها أن يقول بيننا ..

لكن أراد قمة البراءة منه ويسعى حثيثا لتخلص منه ففصل حتى في الألفاظ
(قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) معلوم أن هناك مشرقان ومغربان
والأمر لتغليب ومر معنا نظائره .
لكن لماذا اختار المشرقين دون المغربين ؟! قال بعض أهل العلم من اللطائف أن المشرق يكون منه ظهور قرن الشيطان ، يكون منه ظهور قرن الشيطان .

فلهذا قال(يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) أسلوب ذم لأن بئس فعل ماضي جامد لا تستطيع .
(وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ)هذا من أعظم ما عذب الله به أهل النار أن الله قطع عنهم حتى التأسي بغيرهم
فإن المصائب في الدنيا يهونها أن تجد أحدا مثلك أو أعظم منك في المصيبة
لكن أهل النار حرمهم الله جل وعلا من التأسي الذي يخفف عنه بهم العذاب
وهذا له نظائر في كلام الناس وأحوالهم فإنكم تقرؤون تسمعون عن الخنساء
صحابية يقال لها تماضر كان لها أخ غير شقيق يسمى صخر
وكان باراً بها وكانت وفية له.
وقد جرت عادت الفضلاء والعقلاء أنا الإنسان إذا أحسن إليهم سبقا دون نعمة يريدها فقد طوق أعناقهم وتقول العوام في أمثالها الأول لا يلحقه شيء صاحب النعمة الأولى لا يدرك

وهذا صخر أثنى على أخته الخنساء قبل أن يعرف قدرتها الشعرية
وقبل أن يموت قطعا وقبل أن ينال منها فضلا وهو غير شقيق فلما وقع من قلبها هذه المكانة ببره لها مات في حروبه فلما جاءت ترثيه قالت فيه رثاء جماً :

قذى بعينيك أم بالعين عوار *//* أم ذرفت إذ خلت من أهله الدار

ثم أطنبت في ذكره إلى يومنا هذا والناس تردد

هباط أودية شهاد أندية *//* حمال ألوية للجيش جرار

إلى آخر القصيدة ما العلاقة بين الآيات والأبيات ؟
العلاقة التأسي قالت في مقطوعة لها

يذكرني طلوع الشمس صخرا *//* وأذكره لكل مغيب شمسـي
ولولا كثرت الباكين حولي *//* على إخوانهم لقتلت نفســي
وما يبكون مثل أخي ولكن *//* أعزي نفســي بتأســي

فالتأسي بمن ترى حولها من أخوات وقريبات وجارات فقدن أخوانهن كما فقدت أخاها جعلها تتأسى فالتأسي بالغير نوع مما يخفف به الكلء والمصيبة والجرح هذا محروم منه أهل النار .

قال الله جل وعلا (وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ) اشتركتم في الظلم لكن خفف عنكم تحملتم الأعباء بعضكم عن بعض فما قمتم به من ظلم ربما أصبح بينكم تعاون في تحمل أعبائه لكن ليس ثمة تعاون

في تحمل البلاء .

قال الله جل وعلا :
(وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) نعوذ بالله من ظلالٍ في جهنم وحرها بالكلية
هذا ما تيسر حول هذه الآيات ذات المقاطع الواحدة
الآن نعيد الكره في قراءتها تاريخيا بعد أن قرأناها تفسيريا لأن ما بعدها منفك عنها
نعود لقضية إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا ينفعنا تاريخا في أن نقول
أنك تسمع بأن الله جل وعلا قال في القرآن (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ) الأنعام 74)
ولقد رجحت في اللقاء الماضي بأن آزر لقب له وأن اسمه تارخ
لماذا اختلف العلماء ؟من حيث الصناعة العلمية يجب أن تعلم أنه في الغالب لا يمكن أن يكون هناك اختلاف إلا في وجود سبب قوي له .
فمن سبق كان أتقى منا وأشد علما وأعلم باللغة فلا يمكن أن يكون حملهم على الأقوال مجرد هوى عندما لا يكون لك إلا خال واحد فإنك لا حاجة أن تسميه إذا تحدثت عن خالك
أما إذا كان من يحيط بك يعرف أن لك عدة أخوال فلابد أن تعينه باسمه حتى تميزه عن باقي أخوالك .
فالذين قالوا إن آزر ليس أبا لإبراهيم بل هو عم له قالوا إن الله قال) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ)
قالوا لو لم يكن لو كان أبوه لصلبه لا حاجة لأن يسميه لأنه ليس للإنسان إلا أب واحد ،،،

وأما الذين قالوا أن اسمه آزر قالوا هذا صريح القرآن ولا إنفكاك عنه ومن أعظم الأدلة على أنه أبوه لصلبه أن الله ذكره في عدة مواضع ولم يقل أنه عمه ولم يقل أنه عمه ،،
فلو قال أنه عمه لأمكن القول يصبح لقولهم حجة قوية لكن كون الله جل وعلا ذكر أبا إبراهيم في مواطن عدة ولم يقل في واحدة منها أنه عم دل على أنه أب له لصلبه هذه واحدة .
إبراهيم عليه الصلاة والسلام ترك إسماعيل وهو الأكبر وإسحاق وترك العيص .. من ذرية إسماعيل جاء نسل ينسب إلى عدنان من عدنان إلى إبراهيم مات آباء وأجداد قطعا لكن لا يوجد دليل ثبت على أسمائهم .
أما من عدنان إلى هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم فهذا متفق عليه بين علماء النسب .
أحيانا يمر معك في تكرار التاريخ كلمة معد وكلمة عدنان وتطلق أحيانا بمعنى واحد .. لماذا ؟! لأن ليس بين معد وعدنان أحد فمعد هو الابن المباشر لعدنان فيقال معدي ويقال عدناني والمعنى واحد والمعنى واحد .
قال روح بن زباع
يوم يمانٍ إذا لاقيت ذا يمن *//* وإن لقيت معديا ـ فماذا ـ فعدناني
أعيد هذا روح بن زباع هرب روح من عبد الملك بن مروان فأهدر دمه فأصابه خوف قال :
ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
أي عبد الملك واضح !
لما أصابه خوف يقول أنا إذا قابلت رجلا من أهل اليمن قلت أنا يمني

أي قحطاني من العرب العاربة .فإذا لقيت رجل
عدنانيا قلت أنا عدناني أي من العرب المستعربة ،
موضع الشاهد أنه قال
يوم يمانٍ إذا لاقيت ذا يمن *// * وإن لقيت معديا
ما قال فمعديا قال فعدناني لأن معد هو ابن عدنان
،، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الخطباء
والكتاب في مدحه الصلاة والسلام على سيد ولد
عدنان هذه اللفظة تنبه إليها الشعراء .
أحيانا أيها المبارك تكون المعلومة والمعنى مطروح
من يستله ويصوغه هذا هو العاقل.
الخامة واحده لكن التعامل مع الخامة هو الذي
يفرق الناس هو الذي يفرق الناس ويفاضل بينهم
التعامل مع ماذا ؟ مع الخامة
إن كانت في العلم كمعلومة أو كانت في اللفظ .
فالنبي صلى الله عليه وسلم أطبق الناس على أنه
من ولد عدنان .
فجاء ابن الرومي الشاعر العباسي فقال : إن
الناس إذا انتسبوا يفتخرون بمن ؟ بآبائهم فيقول
فلان أنا من قبيلة قريش أنا هاشمي أنا قرشي
أنا من بني سهم كل بحسبه . فقال أما عدنان
ففخرت بأن النبي صلى الله عليه وسلم منها فهذا
فخر والد بولد لا ولد بوالد
كما علت برسول الله عدنان
فالذي جعل مزية عدنان على قحطان هو أن النبي
صلى الله عليه وسلم منهم .
وهذا إن أطنبت في الفهم يريك الله جل وعلا أن
رحمته مقسمة فالعدنانيون ليسو عرب عاربة
عُوضوا بأن منهم محمد صلى الله عليه وسلم
والقحطانيون ليس منهم النبي صلى الله عليه

وسلم فعوضوا بأنهم عرب عاربة فعوضوا بأنهم
عرب عاربة ومثل هذا قد تظنه ليس كثير علم لكن
هذا إذا كان متوقدا في ذهنك وأنت تسير في الحياة
يجعلك تقل الطمع
لماذا تقل الطمع ؟ تعلم أنه من الصعب أن تجمع
الحسنيين
إذا الله قال لنبيه{) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى
الطَّائِفَتِيْنِ } الأنفال 7(
) {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ } التوبة
52)
هذا يجعلك حتى في مسيرتك لا تحاول أن تكون كل
شيء محال
فاتخذ شيئا جرماً وامضي عليه وتقلده واجعل ما
بقي فروعا وحواشي لا تهدم ذلك الحلم الذي تريده
فمن الذي يريد كل شيء لن يحصل على شيء .
خرج حسين ابن علي ينشد الخلافة والحسين إذا
تكلم يقول جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
، أمي يقول عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم
"بضعة مني"من فقه المسألة ؟ ابن عمر قال له
وهو يودعه إنك بضعة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم .
ولن يعطيكم الله الملك والنبوة لن يعطيكم الله
النبوة والملك .لن يكون لك حظ فيها فوقع كما قال
ابن عمر حُرم الحسين باستشهاده في العاشر من
محرم من الوصول إلى الحكم ،، فيأتي استثناء
الاستثناءات تكون في الخواتيم لأن الأمور إذا تمت
ماذا ؟ انتهت.
فالمهدي من ذرية نبينا صلى الله عليه وسلم لكنه
علامة من علامات الساعة يكون بها الخواتيم وهذا

من سنة الله في خلقه كم تفضل المشرق على المغرب في أن الشمس تشرق منه فإذا جاءت الشمس من المغرب ماذا يحصل ؟؟ تقوم الساعة

هذا ما تيسر إيراده و تهيأ إعداده وأعان الله على قوله

وصلى الله على محمد وعلى آله

والحمد الله رب العالمين